بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: ١٠٠ **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ: ١٢/ ٢٠٢٤/١١م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

بقي لنا في الآية السابعة والعشرين ما يرتبط بتوصيف اليوم بكونه ثقيلاً ﴿يَوْماً ثَقِيلا﴾ يوجد هنا مبحثان:

المبحث الأول: الوقوف عند هذا التوصيف.

إن الثقيل في العرف واللغة معناه واضح، وهو ما يقابل الخفيف، ويطلق على الأوزان، وما له وزن يكون من الأعيان المادية، فيقال له حينئذ خفيف أو ثقيل.

ما هو نوع هذا التعبير؟

جمع كبير من المفسرين اكتفوا بشرح المعنى، فقالوا المقصود من قوله ﴿يَوْماً ثَقِيلا﴾ عسيراً شديداً، وهذا ليس تفسير مفردة بمفردة؛ لأنه في اللغة كلمة ثقيل ليس معناها عسير، العسير يقابل اليسير والثقيل يقابل الخفيف.

وإنما هو ذكر لنتيجة المعنى، وأغلب كتب التفسير بناؤها على ذلك. فهي لا تريد شرح مفردة ثقيل؛ إذ هذه المفردة واضحة المعنى في اللغة ولا يختلف فيها اثنان.

فهؤلاء الذين فسروا ﴿يَوْماً ثَقِيلا﴾ بقولهم أي عسيراً شديداً هذا ليس تفسيراً للكلمة، وإنما هو تفسير لنتيجة المضمون، والحال أن سؤالنا ما هو نوع هذا التوصيف؟ هل هو حقيقي أم هو مجازي؟

الزمخشري وتبعه على ذلك العلامة الطباطبائي التزم في المقام بالاستعارة، بناء على ذلك كلمة ثقيل استعملت مجازاً؛ إذ الاستعارة هي نوع من أنواع المجاز، فالمجاز في الكلمة ينقسم إلى مجاز مرسل واستعارة.

المجاز المرسل هو كل استعمال للكلمة في غير ما وضعت له بعلاقة غير المشابهة، من قبيل علاقة الجزئية أو الكلية أو الأوْل والمشاركة أو السببية أو المسببية أو الحالية أو المحلية إلى آخره. أما إذا كان استعمال الكلمة في غير ما وضع له بعلاقة التشبيه يسمونه استعارة.

فكلمة ثقيل استعيرت مكان كلمة العسير، فكان ينبغي القول يوماً عسيراً، ولما كان العسير والثقيل يدلان الشدة كل في مجاله، تشابها فصح استعمال أحدهما في موضع الآخر.

استعيرت كلمة الثقيل واستعملت مكان كلمة الشدة، أصل الجملة وحقها أن يقال يوماً شديداً فقيل يوماً ثقيلاً.

هذا الكلام لا أوافق عليه[1]، إذ العلامة الطبطبائي عندما أراد أن يشرح لنا الاستعارة، قال: "فكأن اليوم محمول ثقيل يشق حمله". هذا لا يمكن أن يكون تبريراً للاستعارة، بل هو تبرير للإسناد المجازي، فكأن اليوم محمول ثقيل، اليوم ليس شيئاً يحمل وليس محمولاً، فكأنه محمول فلما صار محمولاً وصفه بوصف من أوصاف المحمولات خفيف أو ثقيل. هذا يكون إسناد مجازي لا استعارة.

الاستعارة من قسم المجاز في الكلمة، أما الإسناد المجازي من قسم المجاز الإسناد، حق الجملة أن يقال أعباء في ذلك اليوم ثقيلة، فالذي هو ثقيل ليس اليوم، حق الثقل أن ينسب إلى أعباء ذلك اليوم، فأسندناه ونسبناه إلى اليوم، من قبيل قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ﴾[2] فالليل لا يمكر، والذي يمكر الإنسان في الليل، فحق المكر أن ينسب إلى الإنسان فنسبته إلى الزمان. فهذا نسميه إسناد مجازي.

وكذا قوله تعالى: ﴿فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُم﴾[3] الربح حقه أن يسند إلى التاجر لا أن يسند إلى التجارة، فأسندناه إلى التجارة.

هذا التفسير الذي ذكره العلامة هو ليس تفسيراً للاستعارة، بل هو تفسير للإسناد المجازي، فأعباء اليوم ثقيلة، فصار ما حقه أن يسند إلى ما يقع في اليوم أسنده إلى اليوم ذاته، وهذا من الإسناد المجازي.

---

[1] الشيخ الأنصاري & قال إن البلاغة ما بين درس وتدريس ومباحثة مرّ على أربعين دورة بلاغة.
[2] سبأ: ٣٣
[3] البقرة: ١٦

فإذاً صار واضحاً المقصود من قوله ﴿يَوْماً ثَقِيلا﴾ أن هذا اليوم لشدة ما يقع فيه على كاهل الإنسان صار هذا اليوم كأنه هو الثقيل.

المبحث الثاني: تحديد المراد من اليوم.

المعروف بين علماء التفسير، بل لم أجد مخالف في ذلك إلا من سوف اذكره بعد قليل، أن هذا اليوم هو يوم القيامة، وقرينته واضحة؛ لأنه قابله بـ ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ والعاجلة من أوصاف الدنيا، فذلك اليوم هو يوم الآخرة ويوم القيامة.

باستثناء الموردي في كتاب النكت والعيون خالف في ذلك، قال هذا اليوم يوجد فيه احتمالان:

الاحتمال الأول: أن يراد به ما يحل باليهود من القتل والجلاء عن المدينة المنورة.

الاحتمال الثاني: أن يراد به يوم القيامة.

ذهب إلى هذا المذهب؛ لأنه هذا يرتبط بتفسيره لاسم الإشارة في صدر هذه الآية ﴿إِنَّ هؤُلاءِ﴾ حيث قال يوجد فيها احتمالان:

الاحتمال الأول: اليهود.

الاحتمال الثاني: المنافقين.

إذا حملناها على اليهود فالمقصود من هذا اليوم هو يوم جلائهم عن المدينة المنورة لا يوم القيامة، وأما إذا حملنا هؤلاء على المنافقين فهذا اليوم هو اليوم الذي يوعد به المنافقين وهو يوم القيامة.

لكن قد عرفنا فيما تقدم أن قوله ﴿هؤُلاءِ﴾ يرجع إلى آية سابقة وهي الآية الرابعة والعشرين ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ لم يتقدم في هذه السورة المباركة حديث عن اليهود ولا حديث عن المنافق. خصوصاً إذا بنينا على أن هذه الآيات الأخيرة كما كان يوجد قرائن أشرت إليها، أن السورة هي سورة مدنية، وأما هذه الآيات الأخيرة هي آيات مكية، إذا بنينا على مكيتها، فظاهرة النفاق صارت في المدينة المنورة لا في مكة، ففي مكة المكرمة يوجد توحيد وشرك، قد يكون هناك أفراد فلان كان أسلم وكان منافقاً، ولا مانع من ذلك، لكن كظاهرة يمكن أن يتحدث عنها الكريم بدأت في المدينة المنورة.

الابتلاء باليهود إنما حصل في المدينة المنورة أيضاً لا في مكة.

على كل تقدير حتى لو بنينا على أنها مدنية، فلا يوجد ذكر لليهود وللمنافقين في هذه السورة المباركة، فحينئذ ما يبتني عليه هذا التفسير باطل.

فالصحيح ما عليه جمع المفسرين من حمل هذا اليوم الثقيل على يوم القيامة. وهذا شائع في القرآن الكريم ﴿يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدانَ شيبا﴾[٤] كثير ما يعبر في الآيات على نحو التنكير مع الوصف عن يوم القيامة باليوم، وهذا هو التفسير الصحيح.

[٤] المزمل: ١٧